

تفريغ المحاضرة الثامنة في العقيدة: الأصول الثلاثة

يوم الخميس الموافق 13-9-2018

بشرح فضيلة الشيخ الاستاذ الدكتور/ طلعت زهران- حفظه الله
الدورة النسائية -مصر-الاسكندرية - العصابة - جامع الامام مسلم

تابع الاصل الثاني : الاحسان

الإحسان في اللغة مشتق من الحُسْن، ويطلق على الإتقان والإجادة.
والإحسان نوعان إحسان في عبادة الخالق وهو المراد هنا في هذه المرتبة، وإحسان في حقوق الخلق، وهو نوعان: إحسان واجب، وإحسان مستحب. (الإحسان رُكْنٌ وَاحِدٌ) نهاية الإخلاص من حيث الباطن، ومن حيث الظاهر كمال المتابعة. أي بتحقيق شرطي العبادة، الإخلاص والمتابعة.

فهو ركن واحد، لكنه مرتبتان في نفسه:

الأولى «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»: هذه ما يسميه البعض بمرتبة الاستحضار، فتستحضر في عبادتك أنك بين يدي الله تعالى. فتقوم بهذه العبادة على حالٍ وهيئةٍ (كَأَنَّكَ تَرَاهُ) وتشاهده، فبيعتك ذلك على كمال الإخلاص لله عز وجل، وعلى كمال المتابعة بأن تتقن العبادة على وجهها وتحسن أداؤها.

والعظمى وهي درجة المراقبة: «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ» وهذه مرتبة الإطلاع، يعني إن لم تستحضر أنك ترى معبودك ها، ففاتك هذا المشهد حينئذ تستحضر أنك لن تغيب عنه البتة، فالله تعالى مطلع عليك.

والدليل قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} النحل آية: 128.
هذا الدليل يشمل المرتبتين لأنه أطلق قال: {وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} محسنون في طاعة ربهم في العمل - يعني من حيث الاستحضار ومن حيث الإطلاع. وهذه معية خاصة؛ تقتضي مع اطلاعه عليهم، لا يفوته شيء من أحوالهم، نصرهم وتأييدهم ونحو ذلك.

وقوله: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} الشعراء آية: 217-218-219-220 وقوله: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ}. يونس آية: 61 وَتَوَكَّلْ: يعني في جميع أمورك، {عَلَى الْعَزِيزِ} القوي الذي لا يغلب {الرَّحِيمِ} بالمؤمنين {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ} هذا محل الشاهد يعني متهجداً في صلاتك، {وَتَقْلُبُكَ} هو الركوع والسجود والقيام فهو معك يسمع ويرى.

{فِي السَّاجِدِينَ} أي مع المصلين {إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ} لأقوال عباده العليم بحركاتهم وسكناتهم.

{وَمَا تَكُونُ} يا محمد {فِي شَأْنٍ} في عملٍ من الأعمال وفي حالٍ من الأحوال {وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ} يعني نازلٍ {وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ} عمل القلب والجوارح واللسان أنت وأمتك {إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا} أي مشاهدين لكم {إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ} أي إذا شرعتم فيه - والله عز وجل شاهدٌ عليكم.

والدليل من السنة حديث جبرائيل المشهور عن عمر رضي الله عنه قال: "بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام. قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. فقال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدق. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة. قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: أن تلد الأمة ربته، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. قال فمضى، فلبثنا ملياً. فقال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: هذا جبرائيل أتاكم يعلمكم أمر دينكم".

(وَالدَّلِيلُ) العام الجامع لمراتب الدين الثلاثة

(حَدِيثُ جَبْرَائِيلَ) الْمَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَهُوَ حَدِيثٌ عَظِيمُ الشَّأْنِ جَلِيلٌ يَشْتَمِلُ عَلَى بَيَانِ الدِّينِ كُلِّهِ.

«مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ» فَإِنَّهَا مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: 34]، وَفِي الْحَدِيثِ: «مِفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ»، قَالَ: «وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ».

يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبَيَانِ: بِمَعْنَى تَكَثُّرِ طَبَقَاتِ الْبَنِيَانِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ هَؤُلَاءِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَقْوَى أَمْرُهُمْ وَتَكْثُرُ أَمْوَالُهُمْ فَيَتَطَاوَلُونَ فِي الْبَنِيَانِ تَفَاخُرًا عَلَى بَنِي قَوْمِهِ.

«هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ». أَطْلَقَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الدِّينَ عَلَى هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ.

انتهت المحاضرة الثامنة